~~بسم الله~~

كتاب بيانه فضل علم السلف على علم الخلف

لابن رجب

* ناقص من آخر المخطوط نصف ورقة

يبدأ النقص من قوله (ولو أنهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ... إلى ونعم الوكيل

تم المرض)

كتاب بيان فضل علم السلف
على علم الخلف تاليف الشيخ الامام
العالم العلامة ابي الفرج
عبد الرحمن ابن رجب
الحنبلي رحمه الله
ورضي عنه
امين

كتاب
محمد ابن مسلم ابن
سعيد العتيقي

عبد الرحمن ابو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا اما بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع وعلم غير نافع والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قد ذكر الله في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فاما الاول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط وقوله رب زدني علما وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وما قص الله سبحانه من قصة آدم عليه السلام وقوله للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فهذا هو العلم النافع وقد ذم عز وجل قوما اضاعوا علمهم ولم ينفعهم فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى الاية وقال تعالى واضله الله على علم واما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم كقوله في السحر ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وكذا الحجارة السنة بتقسيم العلم الى نافع وغير نافع والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع وسوال

العلم النافع ففي صحيح مسلم عن زيد ابن ارقم رضي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها اخرجه اهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع وفي بعضها اعوذ بك من هؤلاء الاربع وخرجه النسائي من حديث جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما تنفعني به وخرج ابو نعيم من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انا نسألك ايمانا دائما وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا ورزقا طيبا ومن العلم ما لا ينفع فسأل الله علما نافعا واعوذ بالله من علم لا ينفع وخرج النسائي من حديث زيد ابن ارقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وخرج النسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا فسر قوله ان من العلم جهلا ان يتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك ويفسر ايضا بان العلم الذي لا ينفع ويجهل به خير من العلم به فان كان الجهل به خيرا منه فهو شر من الجهل وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين او في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير بعض العلوم التي لا تنفع وفي مراسيل ابي داود عن زيد ابن اسلم قال قيل يا رسول ما اعلم فلانا قال بم قالوا بانسابه الناس قال علم لا ينفع وجهالة لا تضر وخرجه ابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا وفيه انهم قالوا علم الناس بانساب العرب واعلم الناس بالشعر وبما اختلفت فيه العرب وزاد في اخره العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وهذا الاسناد لا يصح وبقية راويه غير ثقة واخر

الحديث خرجه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص
موقوفا العلم ثلاثة ما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وفي اسناده عبد الرحمن ابن زياد الافريقي وفيه ضعف
مشهور وقد ورد بان يتعلم من الانساب ما توصل به الارحام من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم خرجه الامام احمد والترمذي وخرجه حميد
ابن زنجويه من طريق اخر عن ابي هريرة موقوفا تعلموا من انسابكم ما
تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به
في بر او بحر ثم انتهوا وفي اسناده رواية ابن لهيعة وخرج
ايضا من رواية نعيم ابن ابي هند قال قال عمر رضي الله عنه تعلموا من
النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا وتعلموا من النسبة
ما تصلون به ارحامكم وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا
وروى مسروق عن محمد ابن عبد الله قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به القبلة والطريق وكان النخعي لا يرى
باسا ان يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به ورخص في تعلم منازل
القمر الامام احمد واسحاق بقوله عنهما حرب زاد اسحاق ويتعلم من
اسماء النجوم ما يهتدي وكره قتادة تعليم منازل القمر ولم يرخص ابن
عيينة فيه ذكره عنهما حرب وقال طاووس رب ناظر في النجوم و
متعلم حروف ابجاد ليس له عند الله خلاق خرجه حرب وخرجه
حميد ابن زنجويه من رواية طاووس عن ابن عباس وهذا يحمل
على علم التاثيرات لا علم التسيير فان علم التاثير باطل يحرم وفيه
ورد الحديث المرفوع من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة
من السحر خرجه ابو داود من حديث ابن عباس مرفوعا وخرج ايضا

ايضا من حديث قبيصة مرفوعا العيافة والطيرة والطرق
من الجبت والعيافة زجر الطير والطرق الخط في الارض فعلم
تاثير النجوم باطل يحرم والعمل بمقتضاه كالتوجه الى النجوم
وتعويب الزوايين لها كفر واما علم التسيير فاذا تعلم ما يحتاج اليه للاهتدا
ومعرفة القبلة والطرق كان جايزا عند الجميع وما زاد عليه فلحاجة اليه وهو شغل
عما هو اهم منه وبعادي الحد الذي لا توقف فيه الى سادة الظن عما رب المسلمين في
امصارهم كما وقع ذلك كثير ابن اهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يقتضي الاعتقاد
خطا الصحابة والتابعين بعين في صلاتهم في كثير من الامصار وهو باطل وقد انكر الامام
احمد الاستدلال بالكوكب وقال انما ورد ما بين المشرق والمغرب قبلة يعني يرد
اعتبار الحديث ونحوه من النجوم وقد انكر ابن مسعود رضي الله عنه على كعب
قوله ان الفلك يدور انكر ذلك مالك وغيره وانكر الامام احمد على المنجمين
قولهم ان الزوال يختلف في البلدان وقد يكون انكارهم او انكار ذلك بعضهم لذلك
لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في ذلك وان كان اهله يقطعون به ولان الاشتغال
به ربما ادى الى فساد عريض وقد اعترض بعضهم بعرض هذا على حديث الزوال
ثلث الاخر وقال ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا بد ان يكون الزوال في وقت
معين ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام فتبين هذا الاعتراض وان الرسول
صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون لو سمعوا من يعترض ما ظهر له
بل بادروا الى عقوبته والحاقه بزمرة المنافقين المكذبين وكذلك التوسع
في علم الانساب فهو مما لا يحتاج اليه وقد سئل عن عمر وغيره النهي عنه مع
ان طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به وكذلك التوسع
في علم العربية لغة ونحوا هو مما يشغل عن الاهم والوقوف معه يحرم علما
نافعا وقد كره القاسم ابن مخيمرة علم النحو وقال اوله شغل واخره بغي و
اراد به التوسع فيه وكذلك كره الامام احمد التوسع في معرفة وغريبها اللغة
وانكر على ابي عبيد توسعه في ذلك وقال هو يشغل عما هو اهم منه ولهذا

يقال ان العربية في الكلام كالملح في الطعام يعني انه يؤخذ منها ما يصلح الكلام
كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فانه يفسده وكذلك علم الحساب
يحتاج منه الى ما يعرف به حساب ما ينفع من قسم الفرائض والوصايا والاموال
التي تقسم بين المستحقين لها والزايد على ذلك من مالا ينتفع به الا في مجرد رياضة
الاذهان وصقالها لا حاجة اليه ويشتغل بما هو اهم منه واما ما حدث بعد
الصحابة من العلوم التي توسع فيها اهلها وسموها علوما وطنوا ان من لم يكن
عالما بها فهو جاهل او ضال وكلها بدعة وهي من محدثات الامور المنهي عنها
فمن ذلك ما احدثه المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الامثال لله وقد
ورد النهي عن الخوض في القدر وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعا
لا تزال في هذه الامة مواخيا او مقذفا او مقذفا بالمثل يتكلمون في الولدان والقدر وقد
روي موقوفا ورجح بعضهم وقفه وطرح البيهقي رضي الله عنه من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه مرفوعا اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا
وقد روي من وجوه متعددة في اسانيدها مقال وروي عن ابن عباس انه قال
لمعبد ان عهدان اياك والنظر في النجوم فانها تدعوا الى الكهانة واياك والقدر
فانه يدعوا الى الزندقة واياك وشتم احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فكبكبك الله في النار على وجهك وخرجه ابو نعيم مرفوعا ولا يصح رفعه والنهي
في هذا الخوض في القدر يكون على وجوه منها ضرب كتاب الله بعضه ببعض
فينتزع المثبت للقدر اية والنافي له باخرى ويقع التجادل في ذلك وهذا
قد روي انه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم غضب
من ذلك ونهاهم عنه وهذا من جهة الاختلاف في القرآن والمخالفة وقد نهى عن
ذلك ومنها الخوض في القدر اثباتا ونفيا بالاقيسة العقلية كقول القدرية
لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما وقول من خالفهم ان الله جبل العباد على افعالهم
وخوذ ذلك ومنها الخوض في سر القدر وقد ورد النهي عن هذا على وغيره من السلف
فان العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك ومن ذلك اعني من محدثات الامور ما
احدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله وصفاته بادلة

العقول

العقول وهذا اشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر في افعاله وهذا
كلام في ذاته وصفاته وانقسم هؤلاء الى قسمين احدهما من نفى كثيرا مما ورد به
الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة
لو رؤي لكان جسما لانه لا يرى الا في جهة وقولهم لو كان له كلام سمع لكان
له جسما ووافقهم من نفوه لهذه الشبهة وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد
اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك كثير من المتاخرين سبيلهم كثير
في بعض الامور ممن انتسب الى السنة والحديث من المتاخرين والثاني من زاد
ذلك اثباتا بادلة العقول التي لم يرد بها الا ورود ما ولك مقالتهم كما في طريقة
مقاتل بن سليمان ومن تابعه كنوح بن ابي مريم وتابعهم طائفة من المحدثين قديما
وحديثا وهو مسلك الكرامية فمنهم من اثبت لاثبات هذه الصفات الجسم اما لفظا
واما معنى ومنهم اثبت لله صفات لم يات بها الكتاب والسنة كالركبة وغير ذلك
مما عنده لازم الصفات الثابتة وقد اكد السلف على مقاتل في رده على جهم بادلة
العقل وبالغوا في الطعن عليه ومنهم من يستحل قتله منهم مكي ابن ابراهيم شيخ البخاري
وغيره والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار ايات الصفات واحاديثها كما
جاءت من غير تغييرها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن احد منهم خلاف ذلك المنه
خصوصا الامام احمد ولا خوضا في معانيها لاضرب الامثال لها وان كان قريبا
من الامام احمد فنهم من فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في
ذلك انما الاقتداء بائمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي
والامام احمد واسحاق وابن عيينة ونحوهم وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء
من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه
من سلم من قدح وجرح وقد قال ابو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم
يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه ومن ذلك اعني
محدثات العلوم ما احدثه فقهاء اهل الراي من ضوابط وقواعد عقلية
وردوا فروع الفقه وسواء خالفت ام وافقتها طردا لتلك القواعد المقررة

(٧) نفي الاستواء

صفات

لعله من الامام احمد

وان كان اصلها مما تالوه على نصوص الكتاب والسنة لكن بتاويلات يخالف فهم
غيرهم فيها وهذا هو الذي انكره ائمة الاسلام على من انكروه من فقهاء
اهل الراي بالحجاز والعراق وبالمغرب في ذمه وانكاره فاما الائمة وفقهاء
اهل الحديث فانهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان اذا كان معمولا عند الصحابة
ومن بعدهم او عند طائفة منهم فاما ما انفرد السلف على تركه فلا يجوز العمل
به لانهم ما تركوه الا على علم انه لا يعمل به قال عمر ابن عبد العزيز حذوة من الراي
ما يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا اعلم منكم فاما ما خالفوا عمل اهل المدينة من
الحديث مهذكانما ترك الاخذ بعمل اهل المدينة والاكثرون اخذوا بالحديث
ومما انكره ائمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام ايضا وقد يكون
ذلك طريقة ائمة الاسلام وانما حدث ذلك بعدهم كما احدثه الفقهاء المتاخرين
في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث
والجدال فيها وكل ذا محدث لا اصل له وصار ذلك عليهم حتى اشغلهم عن
العلم النافع وقد ذكر السلف ذلك وورد في الحديث الموقوف ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل
ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا
اغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل وقال ما ادركت هذه البلدة وانهم يكرهون
هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول
يتكلم احدهم كانه جبل يقتلني ويقول كذا هو كذا يهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة
المسائل ويقول قال الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم يجب في ذلك
جواب وقيد الرجل يكون عالما بالسنن مجادلا عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبل
منه والا سكت وقال المراء والجدل في العلم يذهب بنور العلم وقال المراء في العلم يقسي
القلب ويورث الضغن وكان يقول في المسائل التي يسئل كثيرا وكان الامام احمد يسكت
عن اجابته في ذلك وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن اغلوطات المسائل وعن المسائل
قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره ومع هذا ففي كلام السلف والائمة ما لا يحصى
وان في الامام احمد واسحاق التنبيه على ماخذ الفقه ومدارك الاحكام بكلام

مبلغ

الاذكار وادام بعد ضرب فتح له باب العمل واغلق عنه باب الجدل

فكرهوا ذلك الخصام

الادعوج

وجيز

وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير اطالة ولا اسهاب وفي كلامهم من رد الاقوال المتخالفة
بالطف اشارة واحسن عبارة بحيث يغني ذلك من تفهمه عن اطالة المتكلمين وذلك
بعدهم بل ربما يتضمن بتطويل كلام من بعدهم من الصواب فيذلك ما تضمنه كلام السلف
والائمة مع اختصاره والجائز مما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من
السلف الامة جهلا وعجزا ولكن سكتوا عن علم وخشية لله عز وجل وما تكلم من تكلم
وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حبا للكلام وقلة ورع كما
قال الحسن وسمع قوما يتجادلون هؤلاء لا قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل
ورعهم فتكلموا وقال محمد بن ابي ميمونة سمعت محمد ابن سيرين وماراه رجل
فغطى له فقال انا اعلم ما تريد اني لو اردت ان امار بك كنت عالما بالجواب المراء في رواية
قال انا اعلم منك بالمراء ولكني لا امار يك وقال ابراهيم النخعي ما خاصمت قط وقال عبد الكريم
الجزري ما خاصم ذو ورع قط وقال جعفر ابن محمد اياكم والخصومات في الدين فانها تشغل القلب
وتورث النفاق وكان عمر ابن عبد العزيز يقول اذا سمعت المراء قصر وقلا من عمل دينه عرضا
للخصومات اكثر التنقر وقال ان السابقين مضوا من علم وقفوا وبصر نافذ كفوا وكانوهم
اقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في المعنى كثير جدا وقد فتن كثير من المتاخرين
بهذا وظنوا ان من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل مغمورة لعلم مما ليس كذلك
وهذا اهل الحجاز وانظر الى اكابر الصحابة رضي الله عنهم وعلماؤهم كابي بكر وعمر
وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد ابن ثابت كيف كانوا كلامهم اقل من كلام ابن
عباس وهم اعلم منه وكذلك كلام التابعين اكثر من كلام الصحابة والصحابة اعلم
منهم وكذلك تابعوا التابعين كلامهم اكثر من كلام التابعين والتابعون اعلم منهم
فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال وكم من سوء يقذف في القلب يفهم به
العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل وبعبارة ذلك بعبارة وجيزة محصلة
للمقاصد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا
ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا مبلغا وان تشقيق الكلام من الشيطان

الدين صح

يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يتكلم بما يحصل به المقصود واما كثرة القول وتنقيحه
الكلام فانه مذموم وكانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قصدا وكان يحدث حديثا
لو عده العاد لاحصاه وقال ان من البيان سحرا انما قاله في ذم ذلك لا مدحا له
كما ظن ذلك من ظنه ومن تامل سياق الفاظ الحديث قطع بذلك وفي الترمذي وغيره
عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا ان الله ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه
كما تتخلل البقرة بلسانها وفي الصحيح احاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمر وسعد وابن
مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة فيجب ان يعتقد انه ليس من كثر بسطه للقول
وكلامه في العلم كان اعلم ممن ليس كذلك وقد بتلينا بجملة من الناس يعتقدون
في بعض من توسع في القول من المتاخرين انه اعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص
انه اعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ومنهم من يقول
هو اعلم من الفقهاء المشهورين السبعة المتبوعين ولهذا يلزم منه ما قبله لان هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين اكثر اقوالا ممن كان قبلهم فاذا كان من بعدهم
اعلم منهم لاتساع قوله كان اعلم ممن كان اقل قولا بطريق الاولى كالثوري والاوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم ومن قبلهم من التابعين والصحابة ايضا
فان هؤلاء كلامهم اقل كلاما ممن جاء بعدهم وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح
واساءة ظن بهم ونسبة الى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة الا بالله ولقد
صدق ابن مسعود في الصحابة انهم ابر الامة قلوبا واعمقها علوما واقلها
تكلفا وروي عن عمر ايضا وفي هذا اشارة الى ان من بعدهم اقل علوما
واكثر تكلفا وقال ابن مسعود ايضا انكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه فمن
كثر علمه وقل قوله فهو نحو ان الممدوح ومن كان بالعكس فهو المذموم وقد شهد
النبي صلى الله عليه وسلم لاهل اليمن بالايمان والفقه واهل اليمن اقل الناس كلاما
وتوسعا في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بالسنتهم عن القدر
المحتاج اليه من ذلك وهذا هو الفقه والعلم النافع وافضل العلم في تفسير القرآن
ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان هو ما ثورا عن الصحابة

والتابعين

والتابعين وتابعيهم الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخير وهم الائمة الاسلام المشهورين المقتدى بهم الذين
سماهم فيما سبق فضبط ما روي عنهم في ذلك وفضل العالم مع تفهمه وتعقله
والتفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لاجل قلة العلم وكثرة الجهل وقلة الدين
لكلام يتعلق من كلامهم واما ما كان مخالفا لكلامهم فاكثره باطل ولا منفعة فيه ولكل منهم
في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق الا وهو في كلامهم موجودا
باوجز لفظ واحصر عبارة ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل الا وفي كلامهم ما يبين
بطلانه لمن فهمه وتامله ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والماخذ الدقيقة مالا
يهتدي اليه من بعدهم ولا يلم به فمن يأخذ العلم من كلامهم فانه ذلك الخير كله مع ما يقع
في كثير من الباطل متابعة لمن تاخر عنهم ويحتاج من اراد جمع كلامهم الى معرفة صحيحة من
سقيمه وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل فمن لم يعرف ذلك فهو غمر واشوه بما ينقله
من ذلك ويلبس عليه حقه ببطله ولا يثق بما عنده من ذلك كما يروى عن قل علمه بذلك
لا يثق بما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه
فهو لجهله يجوز ان يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه قال
الاوزاعي العلم ما جاء به اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما كان غير ذلك فليس بعلم
وكذا قال الامام احمد وقال في التابعي انه مخير بين كتابته وتركه وقد كان الزهري
يكتب ذلك وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابع وفي زماننا يتعين
كتابة كلام ائمة السلف المقتدى بهم الى زمن الثوري والامام احمد واسحاق وابي
عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة
وحدث من انتسب الى متابعة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو اشد مخالفة
لها لشذوذه عن الائمة واغراده عنهم بفهم تفهمه او باخذ مالم يأخذ به الائمة
من قبله فاما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل
في شيء من ذلك الا وبلطخ بعضا وصارهم كما قال الامام احمد لا يخلو من نظر في الكلام اي تجهم
وكان هو وغيره من السلف يحذرون من اهل الكلام وان ذهبوا عن السنة واما ما يوجد في كلام
من احب الكلام المحدث واتبع اهله من ذم من لا يتبع في الخصومات والجدال ونسبته
الى الجهل والى الخشو والى انه غير عارف بالله او غير عارف بدينه فكل ذلك من خطوات
الشيطان نعوذ بالله منه ومما حدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعارف

نعلم

واعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الراي والذوق والكشف وفي خطر عظيم وقد انكر اعيان الائمة
كالامام احمد وغيره وكان ابو سليمان يقول انه ليمر بي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها
الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مقيد على الكتاب والسنة من
لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل قوم
الى انواع الزندقة والنفاق وتعدوا ان اولياء الله افضل من الانبياء وانهم مستغنون
عنهم والى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع والى دعوى الحلول والاتحاد والقول بوحدة
الوجود وغير ذلك من اصول الكفر والفسوق والعصيان الدعوى الاناحية وحل محظورات
الشرائع وادخلوا في هذا الطريق اشياء كثيرة من الدين فبعضها يسمونه تحصيل به ترقيق
القلوب كالغناء والرقص وبعضها زعموا انه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور لحسنه و
نظرها وبعضها زعموا انه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم
تاتي به الشريعة وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر المحرم وشابهوا بذلك
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب
والسنة وفهم معانيها والتقييد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم
في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد
والرقائق والمعارف وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه او الاتم
الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا في ذلك كفاية فمن عقل وشغل
نفسه بالعلم النافع عني واشتغل ومن وفق على هذا واخلص القصد فيه لوجه الله تعالى
واستعانه عليه اعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه والهمه وحينئذ يثمر له
هذا العلم ثمرته الخاصة وهي خشية الله كما قال عز وجل انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال ابن مسعود وغيره كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال بعض السلف
ليس بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية وقال بعضهم من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل
وكلامهم في هذا المعنى كثير جدا وسبب ذلك ان هذا العلم النافع يدل على امرين احدهما
على معرفة الله وما يستحقه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والافعال الباهرة وذلك
يستلزم اجلاله واعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا
بقضائه والصبر على بلائه والامر الثاني المعرفة بما يحبه ويرضاه ومما يكرهه ويسخطه
من الاعتقادات والاعمال الظاهرة والباطنة والاقوال فيوجب ذلك لمن علمه العلم عدا الى
ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فاذا تم العلم لصاحبه هذا
فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا قر في القلب فخشع القلب لله وانكسر له وذل

هيبة واجلالا وخشية ومحبة وتعظيما ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت
النفوس بيسير الحلال من الدنيا واشتغلت به فاوجب لها ذلك القناعة والزهد
في الدنيا وكل ما هو فان لا يبقى من اعمال واحوال وفضول العيش الذي ينقص به
حظ صاحبه عند الله من نعيم الاخرة وان كثر بما على الله كما قال ذلك ابن عمر
وغيره من السلف ورفع مرفوعا ويوجب ذلك ان يكون بين العبد وبين ربه
معرفة خاصة وان سأله اعطاه وان دعاه اجابه كما قال في الحديث الالهي
لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الى قوله ولئن سالني لاعطينه
ولئن استعاذني لاعيذنه وفي رواية لئن دعاني لاجيبنه ووصيته صلى
الله عليه وسلم لابن عمه احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء
يعرفك فالشان في العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث قد يكون مع
منه فيتناسى به في خلوته فتجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته
ولا تجد ذلك الا من طاعته في يسره وعلانيته كما قيل لوهيب ابن الورد ما حلاوة
الطاعة من عصى قال لا من هم ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه
معرفة خاصة فاذا سأله اعطاه واذا دعاه اجابه كما قالت شعوانة للفضيل ما
مابينك وبين ربك ما دعوته اجابك فعتبي عليه والعبد لا يزال يقع في شدائد
وكرب في الدنيا والبرزخ وفي الموقف فاذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه
الله ذلك كله وهذا هو المشار اليه في وصية ابن عباس بقوله صلى الله عليه وسلم
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل لمعروف ما الذي يهجك الى الانقطاع وذكر له
الموت والقبر والموقوف والجنة والنار فقال ان ملك هذا كله بيده اذا كانت بينك
وبينه معرفة كفاك هذا كله فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودله عليه
حتى عرفه ربه ووجده وانس به واستحيا من قربه وعبده كانه يراه ولهذا
قالت طائفة من السلف ان اول علم يرفع من الناس الخشوع وقال ابن مسعود ان قوما
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب رسخ نفع وقال الحسن
العلم علمان فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذاك
النافع وكان السلف يقولون العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بامره وعالم بالله
ليس عالما بامره وعالما بامر الله ليس عالما بالله واكملهم الاول وهو الذي
يخشى الله ويعرف احكامه فالشان كله في ان العبد يستدل بالعلم على ربه

فوزه فاذا عرف ربه فقد وجده منه قريبا وقربه اليه واجاب دعاءه كما قال
الا سوا يتلى ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك
فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء وكان ذو النون يكرر هذه الابيات
بالليل اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت اناه قد وجدت لي سكنا ه ت
ليس في هواه عناه ان بعدت قربني وان قربت منه دناه وكان الامام
احمد رحمه الله يقول عن معروف معه اصل العلم خشية الله واصل العلم الهجا لله
الذي يوجب خشية الله ومحبته والرغبة منه والانس به والشوق اليه ثم يتلوه العلم باحكام
الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول وعمل او حال او اعتقاد فمن تحقق بهذين العلمين
كان قلبه عالما نافعا وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء
المسموع ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الاربع التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه
وسلم وصاحبه وبالا وحجة عليه فلم ينتفع به لانه لم يخشع قلبه لربه ومن لم تشبع نفسه
من الدنيا بل ازداد عليها حرصا وطلبا ولم يسمع دعاءه لعدم امتثاله لاوامر ربه وعدم
اجتنابه لما يسخطه ويكرهه هذا ان كان عنده علما يمكن الانتفاع به وهو المتلقى عن
الكتاب والسنة فان كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكن الانتفاع به
بل ضرر اكثر من نفعه وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع ان يكسب صاحبه الزهو والفخر
والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها وطلب مباهات العلماء ومماراتهم
السفهاء وصرف وجوه الناس اليه وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب
العلم لذلك فليتبوأ مقعده من النار وربما الدعا اصحاب هذه العلوم معرفة الله وعلمه والاعراض
عما سواه وليس غرضهم بذلك الا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم واحسان ظنهم
بهم وكثرة اتباعهم والتعظم بذلك على الناس وعلامة ذلك اظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه
اهل الكتاب وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من
احتقار نفوسهم وازدرائها وقال عمر من قال انه عالم فهو جاهل ومن قال انه مؤمن فهو
كافر ومن قال انه في الجنة فهو في النار ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد اليه
والتكبر على من يقول الحق خصوصا ان كان دونهم في اعين الناس والاصرار على الباطل خشية
توقف قلوب الناس عنهم باظهار الرجوع الى الحق وربما اظهروا بالسنتهم ذم نفوسهم
واحتقارها على وجه الاشهاد ليعتقد الناس انهم في انفسهم متواضعون
فيمدحون بذلك وهو من دقائق ابواب الرياء كما نبه التابعون ممن كيدهم من

العلما

من العلما ويظهر منهم من قبول المدح واستحلابه ما ينافي الصدق والاخلاص فالصادق
يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح
واستحسانه فلهذا كان من علامات العلم النافع انهم لا يروون لانفسهم حالا ولا مقاما ويكرهون
بقلوبهم التزكية والمدح ولا يكبرون على احد قال الحسن انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بدينه المواظب على عبادة ربه وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من فوقه
ولا يستخف من دونه ولا يأخذ على علمه بالله اجرا وهذا الكلام الاخير قد روي معناه عن ابن
عمر من قوله واصل العلم النافع كلما ازداد ومن هذا العلم ازداد وتواضعا وخشية وا
وانكسارا وذلا قال بعض السلف ينبغي للعالم ان يضع الرماد على راسه تواضعا لربه
فانه كلما ازداد علما بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكسارا
ومن علامات العلم النافع انه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا واعظمها الرياسة
والمدح والشهرة فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع
فان وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته
بحيث انه ان يخشى ان يكون مكرا واستدراجا كما كان احمد يخاف على نفسه عند
اشتهار اسمه وبعد صيته ومن علامات العلم النافع ان صاحبه لا يدعي العلم ولا يحب به
على احد ولا ينسب غيره الى الجهل الا من خالف السنة واهلها فانه يتكلم فيه غضبا لله لا غضبا
لنفسه لرفعها على احد واما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس
وينسبهم الى الجهل وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من اقبح الخصال وازراها وربما
نسب من كان قبله من العلما الى الجهل والغفلة والسهو فيوجب له حب نفسه وحب
ظهورها احسان ظن بها واساءة ظنه بمن سلف واهل العلم النافع على ضد هذا
يسيؤون الظن بانفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلما ويقرون ما بقلوبهم وانفسهم
بفضل من سلف عليهم ويعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول اليها ومقاربتها وما
احسن قول ابي حنيفة وقد سئل عن علقمة والاسود ايهما افضل فقال والله ما نخن
باهل ان نذكرهم فكيف نفضل بينهم وكان ابن المبارك اذا ذكر اخلاق السلف من
من سلف ينشد شعرا ه لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ه ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

ومن علم عيبا نافع اذا راى لنفسه فضلا على غيره من تقدمه في المقال وتشقيق الكلام ظن
لنفسه فضلا في العلم والدرجة عند الله لفضل خص به عن سبق فاحتوى من تقدمه وازرى
عليه بقلة العلم ولا يعلم المسكين بان قلة كلام من سلف انما كان ورعا وخشية لله
ولو اراد ان الكلام وإطالته لما عجز وعن ذلك كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارون في الدين
اما علمتم ان لله عبادا سكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم العلماء الفصحاء والطلقة
والنبلاء العلماء بايام الله غير انهم اذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت
قلوبهم وانقطعت السنتهم حتى اذا استفاقوا من ذلك تسارعوا الى الله بالاعمال الزاكية
يعدون انفسهم مع المفرطين وانهم لاكياس اتقياء مع الغافلين والخالطين وانهم
لابرار بررة الا انهم لا يستكثرون الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال
هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشتغلون وجلون خائفون اخرجه ابو نعيم وغيره وخرج
الامام احمد والترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبلاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه
الترمذي وخرجه الحاكم وصححه وخرج ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال البيان من الله والعي من الشيطان وليس بكثرة الكلام ولكن من
سفه الحق وفي مراسيل محمد ابن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
ينقص بهن العبد في الدنيا ويدرك بهن في الاخرة ما هو اعظم من ذلك الرحم والحياء والعي
قال العي ان يعد الله ثلاث الحياء والصفاء وعي اللسان لا عي القلب ولا عي العمل
وهي مما يزدان في الاخرة وينقص من الدنيا ومما يزدان في الاخرة اكبر مما ينقصان في الدنيا
وروي هذا موقوفا على وجه ضعيف وقال السلف كان الرجل ليجلس الى القوم فيرون
ان به عيا وما به عي انه لفقيه مسلم ممن عرف تلك السلف عرف ان سكوتهم عما سكتوا
عنه من حضور الكلام وكثرة الجدال والخصام والمزيادة في البيان فلو قدر الحاجة
لم يكن عيا ولا جهلا ولا قصورا وانما كان ورعا وخشية لله واشتغالا بما لا ينفع
بما ينفع وسواء في ذلك كلامهم في اصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن والحديث
وفي الزهد والدقائق والحكم والمواعظ وغير ذلك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم

فقد

فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم وخاض في كثرة السؤال والبحث والجدال والغيلة والقال
فان اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريبا وقد قال اياس ان
معاوية ما من احد لا يعرف عيبه الا وهو احمق قيل له فما عيبك قال كثرة الكلام
وان ادعى لنفسه الفضل وعلى سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر
خسرانا مبينا وفي الجملة ففي هذه الازمان الفاسدة اما ان يرضى لنفسه ان يكون
عالما عند الله او لا يرضى الا ان يكون عند اهل الزمان عالما فان رضي بالاول فليكتف
بعلم الله فيه وبمن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله اياه ومن لم يرض
الا بان يكون عالما عند الناس دخل في قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم
ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده
من النار قال وهيب ابن الورد رب عالم وهو مقدود عند الله من الجاهلين
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من تسعر
بهم النار ثلاثة احدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو عالم وهو قارئ
ويقال له قد قيل ذلك ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار فان
لم تقنع نفسه بذلك حتى يصل الى درجة الحكم بين الناس حيث كان اهل الزمان
لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يلتفتون اليه فقد استبدل الذي هو ادنى
بالذي هو خير وانتقل من درجة العلماء الى درجة الظلمة ولبئس لعمر الله هذا قال بعض
السلف لما ارديد على القضاء اباه انما تعلمت العلم لاحقر به مع الانبياء لا مع
الملوك فان العلماء يحقرون مع الانبياء والقضاة يحقرون مع الملوك ولا بد
للمحمود من صبر قليل حتى يصل الى درجة طويلة فان جزع ولم يصبر فهو كما
قال ابن المبارك من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يمتع وكان
الامام الشافعي رحمه الله ينشد يا نفس ما هي الا صبر ايام ان كان مدتها اضعاف الام
يا نفس جودي عن الدنيا بما دره وخلي عنها فان العيش قدام فسئل
الله علما نافعا ونعوذ به من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس
لا تشبع ومن دعاء لا يسمع اللهم انا نعوذ بك من هؤلاء الاربع

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين فصل ليتدبر
ما ذم الله تعالى به اهل الكتاب من قسوة القلوب بعد اتيانهم الكتاب ومشاهدتهم
الايات كاحياء القتيل بضرب ببعض البقرة ثم بقضاء المشيئة بهم في ذلك فقيل لنا
الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وبين في موضع
اخر سبب قسوة قلوبهم فقال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية فاخبر ان قسوة قلوبهم كان عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله وهو مخالفتهم
لامره وارتكابهم لنهيه بعد ان اخذت مواثيق الله وعهوده ان لا يفعلوا
ذلك ثم قال تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به فذكر ان قسوة قلوبهم
اوجبت لهم خصلتين مذمومتين احدهما تحريفه عن مواضعه والثاني نسيانهم حظا مما ذكروا به
والواجب عليهم ان يعلموا بما ذكروا به من الحكمة والموعظة الحسنة فنوذلك وتركوا
العمل به واهملوه وهذان الامران يوجدان في الذين فسدوا من علمائنا المشابهين
اهل الكتاب احدهما تحريف الكلم وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها والتلطف في ذلك
بانواع الحيل اللطيفة التي يحملها على مجاراة اللغة المستعبدة ونحو ذلك والطعن في
الفاظ الكتاب ويذمون من تمسك بالنصوص واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا
اوحشويا وهذا يوجد في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الدين وفي صوفية
الفلاسفة والمتكلمين والثاني نسيان حفظ ما ذكروا به من العلم النافع فلا
تتعظ قلوبهم بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصا وينقل
اهل الراي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلم تدل على شرفها فمن
اشتغل بالتفسير فغايته ان يقص على الناس ويذكرهم ومن اشتغل
بالحديث فغايته ان يقضي ويحكم ويدرس وهولاء لهم نصيب من
الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون والحامل لهذا
شدة محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الاخرة

ونصحوا

المستعبدة تعلوها تحريف

فان من تفقه بغير العلم الذي فرض على كل مسلم فقد اشتغل بالعلم الذي لا ينفع وترك العلم الذي ينفع